مقدمة Introduction

عناصر المحاضرة 01

1- مقدمة

2- أهمية التراث

2-1- الأهمية الثقافية للتراث

2-2- الأهمية المعمارية للتراث

2-3- الأهمية التاريخية والحضارية

2-4 - الأهمية العلمية

2-5 - الأهمية الاجتماعية

2-6- الأهمية الاقتصادية (السياحية الثقافية)

2-7- الأهمية الفنية الجمالية

3- التحديات الأساسية لإدارة التراث العمراني والمعماري

1- مقدمة:

يعدّ التراث ثروة حضارية وثقافية تراكمت عبر القرون ، ذات تجارب إنسانية ثرية ومتنوعة,فهو يمثل هوية الشعوب والأمم،فهو يعد تجسيدا لثقافة الفرد ,والجماعة،والمجتمع، والأمة، كونه المعبر الصادق عن الانجازات الفكرية والثقافية والحضارية المحلية والأممية.فشواهد ومعالم التراث المعمارية المتجسدة في المباني والمدن التاريخية والمواقع الأثرية ,تمثل الرمز المادي الذي يجسد تاريخ الأمم وتراثها الحضاري والعمراني بأبعاده التاريخية ,والثقافية ,والجمالية ,والفنية ,المؤثرة في وجدان الشعوب تستقي منه الأجيال ثقافتها ,وخصائصها ,وانتمائها الحضاري ,مما يعزز هويتها الثقافية.

ويعد التُّراث الثقافي على إختلاف أنواعه وأشكاله مبعث فخر للأمّم واعتزازها ، فهو بما يحمله من قيم ومعان دليل على العلاقة والأصالة ،كما أصبح ينظر إليه كركيزة أساسية في اقتصاد العديد من الدول،إذ أنه من الموارد المهمة الذي تقوم حوله صناعة السياحة،واهم مورد من موارد المجتمع من خلال عملية التنمية التي أصبح التُّراث الثقافيّ يمثل جزءا لا يتجزأ منها في أي مجتمع يمتلك رصيدا منه.ولهذا أصبحت كثير من الدول تسعى سعيا حثيثا لتعظيم العائد من التّراث الثقافي في عملية التنمية الإجتماعية والإقتصادية ،كرافد مهم من روافد الإقتصاد الوطني.

الصورة (01):مدينة صنعاء باليمن ، تراث عمراني ومعماري مميز.

والتراث الثقافي- بالنسبة للدول والشعوب - رصيدها الدائم من التجارب والخبرات والمواقف التي تعطي الإنسان القدرة على أن يواجه تحديات الحاضر ويتصور المستقبل،بوصفه كذلك أهم مكونات القدرة الطبيعية والبشرية الممتدة إلى عمق جذورها التاريخية التي تعطي الإنسان القدرة على أن يواجه تحديات الحاضر ويتصور المستقبل، بوصفه كذلك أهم مكونات القدرة الطبيعية والبشرية الممتدة إلى عمق جذورها التاريخيّة، إلا أن هذه الممتلكات تواجه اليوم في العديد من الدول ، لاسيما بعض الدول العربية التي تمتد حضارتها إلى أعماق التاريخ جملة من المخاطر التي تهدد بقائها ،واستمرارها كشاهدٍ على الحضارة الإنسانية بمراحلها المختلفة ،ويأتي في مقدمة هذه المخاطر ما تتعرض له من تدمير وتلف أثناء النزاعات المسلحة ،فضلا عن الاتّجار غير المشروع بالممتلكات الثقافيّة.

2- أهمية التراث:

لا شك بأن التراث العمراني يمثل الشاهد الحي لحضارات الأمم وثقافة شعوبها وسجل لتطورها عبر التاريخ ويعبر عن عراقة وأصالة المدن ومعيار لتميزها بين المدن القديمة والمدن الحديثة، ولكون التراث نتاج ثقافي فكري، يفرز نتاجا ماديا حضاريا بوجه عام ومعماريا بوجه خاص، فإن أهمية التراث هي أهمية ثقافية فكرية في المقام الأول، و هي أهمية تطبيقية معمارية في المقام الثاني.

2-1- الأهمية الثقافية للتراث:

"تتمثل الأهمية الثقافية للتراث في التأكيد على الهوية الفكرية، وتحقيق الانتماء، في ظل عالم تتعاظم فيه دعاوى العولمة والهيمنة الثقافية، وبالتالي قدرته على مواجهة التيارات الثقافية الخارجية، وحماية الخصوصية الثقافية المحلية، ولا سيما إذا كان لهذا التراث ملامحه الواضحة والمعبرة عن

الثقافة الاصلية للمجتمع. فالتراث عندما كان واقعا معاشا لمجتمع محدد كان تعبيرا عن ثقافة ذلك المجتمع، ومجسدا له في إطار حضاري بنائي، وبعد مضي الزمان يصبح ذلك كله ترا ثا، ومن خلال تطوره عبر الزمان تضاف اليه قيمة جديدة و هي تعبير التراث عن التطور الحضاري دون القطيعة مع الماضي".

2-2- الأهمية المعمارية للتراث:

"تتمثل الأهمية المعمارية للتراث في كونه سجلا وثائقيا هاما، يحكي تاريخ المجتمع، ويعكس صورته في رحلته عبر العصور، ويعكس طبيعة التغير في كل مرحلة من مراحل تاريخه، بالاضافة لكونه تسجيلا لخلاصة خبرة أفرا د المجتمع وإبداع الموهوبين منهم، في تلبية اعتبارا ت مناخية و وظيفية و جمالية، و عكس المستوى التقني و المواد و المهارات، وهي أمثلة نتعلم منها و نستقي منها حاضرنا.

لذا فقد أمكن تسجيل تاريخ الحضارات و تاريخ الشعوب التي بنتها مما خلفته من تراث معماري، و هذا ما كتبه" فان لون"في موسوعته" تاريخ الحضارة البشرية بقوله :"إن تاريخ الشعوب و حياة مجتمعاتها منقوشة على حوائط أثارها المعمارية"، و كما وصف" ابن خلدون "العمارة في مقدمته الشهيره بقوله" :طبائع العمران البشري هي أحسن الوجوه و أوثقها التي يقرأ على صفحاتها تاريخ الشعوب"،كما تظهر أهمية التراث العمراني في الجوانب التالية:

2-3- الأهمية التاريخية والحضارية:

يعد التراث العمراني، من المنظور التاريخي الحضاري، كنز حضاري ثمين، فهو يشكل شاهداً ورمزاً صادقاً على الإبداع الإنساني ورؤاه الفنية عبر مسيرة التاريخي الحضاري العمراني، فهو يعمل على

إبراز عناصر الفن والجمال والتميز والإبداع والأصالة، وبهذا فهو يشكل خير لبنة لبناء صروح وحدة الأمم وتماسكه، فالتراث العمراني يعكس جانباً من جوانب الهوية الوطنية للدول، وذلك من خلال إبراز دورها التاريخي و أصالة شعبها وحضاراتها ,مما شجع العديد من الدول على المحافظة على تراثها العمراني.ويمكن قياس الأهمية التاريخية للتراث العمراني من خلال مؤشرين أساسي هما:(نسرين،رفيق اللحام،2007،ص101)

أ - المؤشر الزمني: ويعبر عنه تاريخ إنشاء المبنى، حيثما يزداد أهمية هذا المؤشر بزيادة عمر المبنى التراثي.

ب - المؤشر الرمزي :يرتبط بعدة عوامل مثل :مدى تعبير المبنى التراثي عن عصره وتاريخه ,ندرة المبني وتميزه مقارنة بمباني أخرى، من نفس الفترة الزمنية ,ومدى أصالة مواد المبنى ونسبة التغيرات فيه.

الصورة (02):مدينة شابام بمدينة حضرموت باليمن ، تراث عمراني ومعماري عريق.

4-2 - الأهمية العلمية:

يضم التراث العمراني بين ثناياه الكثير من الأسس والمبادئ العمرانية التي لابد من الوقوف عندها والقياس عليها للمساعدة في تطوير البيئة العمرانية المعاصرة، على مستوى المدن والتخطيط

العمراني، وعلى مستوى مفردة العمارة كالمساجد والمنازل والشوارع والأسواق. فالاستقراء والقياس من الأساليب العلمية في مجال علوم العمران، وتشكل النماذج التاريخية أحد أهم مصادر المعرفة والقياس ولا يمكن لأمة تبحث عن الاستمرارية الحضارية أن تسند كلياً إلى نماذج دخيلة وتهمل نماذج عمرانية أصلية أنتجها الفكر الإنسان من خلال تجاربه عبر مسيرة التاريخ الحضاري.

5-2 - الأهمية الاجتماعية:

تبرز أهمية التراث العمراني، من المنظور الاجتماعي، في المنافع والفوائد الاجتماعية المتعددة والمتنوعة، فالتراث العمراني يغذي وينمي روح الانتماء والهوية للشعوب بتمسكها بحضارتها وأصالة تراثها العمراني، الذي لا تود أن تنفصل أو تنفك عنه. فأهمية معالم ومواقع التراث العمراني الاجتماعية تكون محصلتها النهائية منافع اقتصادية عندما تستغل هذه المعالم كموارد ثقافية في صناعة السياحة والاستثمار السياحي في معالم التراث العمراني. وهذا يعني إعادة الحياة إلى المواقع والمباني التاريخية مما يساعد على ربط المجتمعات بتراثها وثقافتهان وأيضاً له الأثر الفاعل في تواصل الأجيال من خلال ربط الماضي بالحاضر لاستشراف المستقبل.

6-2- الأهمية الاقتصادية (السياحية الثقافية):

"من خلال تتبع التطور السياحي الدولي نستطيع الجزم بأن السياحة ساهمت بشكل كبير في اقتصاديات كثير من الدول، حيث أصبحت السياحة عاملاً من عوامل التنمية الاقتصادية المهمة نتيجة ضخامة عائدها ومرونة تغلغل هذا العائد في قطاعات كثيرة من الاقتصاد، فكثير من الدول ترى في السياحة حلاً سريعاً للتنمية الاقتصادية " .

2-7- الأهمية الفنية الجمالية:

تتضمن القيمة الجمالية الخصائص والنوعيات التي من خلالها يصبح المبنى التقليدي محوراً مهماً من الناحية الروحية أو الوطنية أو الثقافية ويمكن أن يرى المجتمع المحلى أو الوطني في مبان التراث العمراني مصدراً للفخر أو رمزاً للثقافة العمرانية المحلية.

تتخذ جماليات الماضي قيمتها و أهميتها من ذاتها ,وتنبع أهمية مواقع ومعالم التراث العمراني من أنها تحوي مباني قديمة ذات مفردات وعناصر عمرانية نادرة ومنفردة,مستمده من أصالتها ومهارة صناعتها .

الصورة (03):جمالية القبة بمدينة وادي سوف بالجزائر.

والقيمة الجمالية هي المعيار الأكثر موضوعية لتحديد الأهمية، حيث ارتباطها بالخلفية الثقافية والذوق الشخصي، ومن خلال هذه القيمة والأهمية يمكن تفسير انجذاب العديد من الناس لمناطق ومواقع التراث العمراني. فالمباني التراثية والمدن التاريخية تعدّ عمل جمالي ,وهي قيمة تعكس ثقافة المجتمع المحلي من خلال تصميم المبني ومستوى الحرفية فيه ونوعية المواد المستخدمة في بنائه.

لقد جاء اهتمام عالمنا المعاصر بالتراث العمراني من خلال أهميته التاريخية والحضارية,والعلمية، والاجتماعية ,والاقتصادية ,والفنية الجمالية ,التي يتميز بها ,خاصة و أن الأبحاث والدراسات الحديثة

تشير إلى أنه تعرض ويتعرض للدمار والخراب والتلف البشري والطبيعي اللذان عملا على طمس العديد من معالمه الحضارية والجمالية.

3- التحديات الأساسية لإدارة التراث العمراني والمعماري:

إن التراث ذو أهمية متزايدة لكل مجتمع، وليس السبب في ذلك واضحاً تماماً، غير أنه يرُجَّح أن يكون له علاقة بتزايد سرعة التحديث وحجم التغيير في المجتمع، وفي حالات مثل هذه يمكن لما خلّفته المجتمعات السابقة من شواهد أن تمنح الشعور بالانتماء والأمان للمجتمعات الحديثة وأن تكون بر أمانٍ في عالم سريع التحوّل، وقد يكون التراث أيضا معرِّفًا مهمًا للهوّية في عديد المجتمعات .كما أن تفهُّمَ الماضي يمكن أن يساعد مساعدة كبيرة كذلك في إدارة مشكلات الحاضر والمستقبل.

والتراث العمراني منظومة تعكس قصة التطور الحضاري للإنسان عبر التاريخ ,وكيفية تعامله مع البيئة العمراني، وفي هذا الإطار كان لابد من الحفاظ عليه و إبراز أهميته وقيمة ومعاينة ودلالاته المتعددة والمتنوعة، ذلك أولت المنظمات الدولية ذات الصلة موضوع الحماية الدولية للتُّرَاث الثقافيّ اهتِماما،وفي مقدمتها منظمة اليونسكو ويتمثل ذلك بالجهد الذي تبذله من أجل حماية التُّرَاث الثقافيّ، وصونه،والمحافظة عليه ، وكونه يُمثِل قيمة مضافة لكل دولة على حده؛ ولهذا، عمل المجتمع الدولي منذ أكثر من نصف قرن على تحديد قواعد عامة يتوقع من الدول الأعضاء مراعاتها لحماية ذلك التُّرَاث؛ من خلال العديد من الإتفاقيات،والمواثيق ،والتوصيات الصادرة عن المنظمات الدولية التي توصي كذلك بأن تُصدِر الدول مبادئ، ومعايير،وقوانين خاصة بها لحماية تُّرَاثها،وممتلكاتها الثقافيّة الموجودة على أراضيها بما يتفق مع النظم الدستورية السائدة في كل بلد،

حتى تتكامل مع النظم والقوانين الدولية، لذلك كان التوجه نحو ضرورة تسيير هذا التراث والعمل على إكمال مسيرة تطور عمارته لتبقي دائما متوائمة مع ظروف عصرها والتحولات الحضارية التي تعيشه، فالعمارة تاريخاً وتوصلاً ,نمواً وتطوراً ,وعلينا أن نعي ذلك ونحن ندعو إلى الحفاظ على التراث العمراني،ومن هذا المنطلق فهو مرآة للماضي، ومورد يمكن النهل منه لمعرفة الحاضر.

لقد جاء الاهتمام بإدارة التراث العمراني نتيجة للأوضاع التي آلت إليه والناتج عن عوامل متعددة ومختلفة أهمها:

1- الدمار الذي لحق بالتراث العمراني، إضافة إلى المخاطر الطبيعية والبشرية.

2- الإهمال وسوء أعمال الترميم والصيانة.

3- قلة الوعي لدى المواطنين بأهمية التراث العمراني.

4- محاولات الهدم المتسارع للمواقع ومعالم التراث العمراني وتشويهه، ومن ثم طمس الإرث الحضاري للأمم والشعوب، كان من الطبيعي أن تستدعي معالجة كل هذه القضايا التراثية التي تؤرق المهتمين بالتراث العمراني إدارة فاعلة لمعالم ومواقع التراث العمراني من أجل حمايته والحفاظ عليه والتعريف بأهميته وقيمته ومعانيه ودلالاته التاريخية الثقافية الجمالية والعلمية، ومن ثم إتباع منهجيه محددة المعالم تعنى بإدارة التراث العمراني.

إن الفكرة المعاصرة لمفهوم إدارة التراث العمراني تشير إلى وجود أكثر من وجهة نظر حول التراث العمراني تشير الوجهة الأولى إلى التنكر لهذا الموروث والخجل منه، رابطاً التطور المعاصر بضرورة

إزالته والاحتفاظ الوثائقي به، أما وجهة النظر الأخرى فترى، ما يمكن وصفه بالتقديس والحفاظ عليه دون تغيير. وبين الوجهة الأولى الإزالة والثانية الحفاظ يمكن اتخاذ العديد من المواقف التي تجمع بين الحفاظ والإزالة لموقع دون آخر، وأيا كان الوضع لابد من معرفة هذا التراث ورصده وتوثيقه وذلك لأهمية التراث العمراني وقيمة ومعاينة ودلالاته التاريخية والمعمارية والفنية المتعددة.

الصورة (04):جامع حلب الكبير أو الجامع الأموي أو جامع بني أمية هو أكبر وأحد أقدم المساجد في مدينة حلب السورية. أصبح جزءا من التراث العالمي منذ عام 1986. شيدت مئذنة المسجد في عام 1090.

الصورة (05):تأثر الجامع بالمعارك الدائرة في حلب خلال الحرب السورية سنة 2013 فبالإضافة إلى تدمير مئذنته.